رواية"اسمه الغرام" لعلوية صبح

-احتفاء بالنسيان والجسد الأنثوي-

The novel" it's called infatuation" by Alawya Sobh :
A Celebration of Forgetting and the Female Body

أنيسة بوعيش*

تاريخ الإرسال: 2020/10/14	تاريخ القبول:2020/12/07	تاريخ النشر:2020/12/30

الملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى عقد مقارنة أدبية بين النسيان الذي يعد معضلة الذاكرة الإنسانية، والجسد الأنثوي بما أنه موطن استكناه الذكريات ليغدو هو الآخر ذاكرة تحتفظ باللحظات وفي صراع مستمر مع الزمن، حيث الشيخوخة تَسْتَبِدُّ الذاكرة، ومنه فالتذكر في "اسمه الغرام" تفاحة أغرت الشخصية "نهلا" والكاتبة "علوية صبح" من أجل ممارسة الخطيئة المعلنة، وإذا كان الأدب فعل تَعَرٍّ من كل الأنساق فإنّ الحياة ركحٌ له قوانينه الخاصة يذعن أمام جبروتها الإنسان وإن رفض الاعتراف بذلك.

الكلمات المفتاحية: الذاكرة- النسيان- الجسد – الأنثوي- الحرب- الرواية- ذاكرة الجسد- التذكر- المواربة- التشويش- الكشف.

Abstract:

This study aims to establish a literary comparaisin between (oblivion/forgetfulness) which is the (dilemma/problem) of human memory؛ and the female body؛ since it is a homeland/habitat that memories inhabit. So that it also becomes a memory that preserves/maintains moments in a continuos/ an incessant struggle with time. Where old age/caducity/senility oppresses memory.

and from this؛ the remembrance in "it's called infatuation" اسمه الغرام an apple that temted the characer "Nahla نهلا""" and the writer (Alawiya sobh علوية صبح) In order to practice the declared sin. And if literature is truly(

* طالبة باحثة مختبر النص النثري العربي القديم، جامعة عبد المالك السعدي تطوان، المغرب.

espoiranissa@gmail.com

striped off/a denudation)Of all forms of life؛ then life has its own laws to which the Man is submissed even if he refuses to admit (It/so).

Key words :

The memory- oblivion- female body- recall/ recoleection- reminiscence- equivocation- the war- the novel- disruption- disclosure.

❊❊❊ ❊❊❊ ❊❊❊

مقدّمة:

تحتفي رواية "اسمه الغرام" بالأنثوي حبكةً ووصفًا وحوارا، وجسد الأنثى في الروايةخريطة تيه لا يتقن تفاصيلها إلا الرجل الذي يمتاز بعالم فوضوي يعتقد عن سذاجة أن انتظام معالمه لا يكتمل إلا بحضور المرأة، فالأنثى هي البياض المشوه بحمرة الخجل لكون حواء أصل الخطيئة و مصدر الزلة، فضول قاتل يقود للهاوية فآدم(هاني) النقيض المتلاشي بين الكائن و الممكن، بين ما يريد و ما يفعله إرضاء لـ"نهلا"، والأنثوية بعنفوانها لا تنير إلا مصباح الذكورية و عربدتها، ليكون الاحتفاء بالجسد هو الفاصل و الصوت الحكم بينهما، الجسد بتركيبته النفسية، بعقده و مكبوتاته أمام المرآة، والجسد بنضجه المتحقق مع تراكم التجارب والخبرات.

الأنثوي هو البحث عن كل ما يميز العمل الروائي، وإذا كان البحث عن مكامن الاختلاف هو هدف كل دراسة نقدية فإن هذا البحث قد سبر أغوار الأنثوي في رواية "اسمه الغرام" بكل ما أتيح له من معرفة ، وقد مست "علوية صبح "بروايتها تفاحة الخطيئة معترفة بشرعية المرأة في التخلص من هذا الإثم، ملبية نداء الذات الأنثوية وضاربة بالرقابة عرض الحائط.

2. العتبات النصية : الكشف و المواربة والتمويه

1.2 التشويش الدلالي في عنوان رو اية "اسمه الغرام" :

يقول أمبرتو إيكو" إن العنوان يجب أن يشوش على الأفكار لا أن يحولها إلى قوالب مسكوكة" [1]

يتشكل النص الإبداعي من العنوان والنص ؛ والعنوان "يعد نظاما سيميائيا ذا أبعاد دلالية وأخرى رمزية تغري الباحث بتتبع دلالاته ومحاولة فك شفراته الرامزة"[2]؛ فالعنوان هو العتبة الأولى التي يصادفها القارئ والتي قد تجذبه أحيانا لقراءة العمل، ومن ثم فاختيار العنوان أمر صعب لأنه لا ينفصل عن العمل الإبداعي بل جزء من روحه؛ أما الناقد

الهولندي ليو هوك فيعرف العنوان قائلا : " العنوان مجموع العلامة اللسانية(كلمات مفردة؛جمل...)التي يمكن أن تدرج على رأس كل نص لتحدده وتدل على محتواه العام وتغري الجمهور المقصود "[3].

"اسمه الغرام" هو العنوان الذي رضيته "علوية صبح" لروايتها ؛ ومما لا شك فيه أنه أخذ منها جهدا أدبيا ونفسيا ؛ عنوان مكثف ومركز ومثير ومغري، يلخص كل الرواية ويجعل القارئ بنفسه بعد إنهاء الرواية يقول حقا "اسمه الغرام"، **"ثمة شيء غامض كان يحدث في جسدها شيء يشبه الوجع ؛ لكنه ليس وجعا شيء يشبه زقزقة الفرح؛ لكنه ليس فرحا خالصا سألتني وعيناها دامعتان عما إذا كان الذي تحس به يسمونه غراما"**[4]؛وإذا أردنا أن نحلل هذا العنوان تبعا لما جاء في الرواية فإننا سنربطه ب«نهلا» مباشرة، بطلة الرواية لكن من خلال منطلقين؛ ما عاشته «نهلا» مع «هاني» وقصة غرامهما التي أتلف معالمها مرض الزهايمر؛ وقصة غرام «نهلا» لجسدها وتصالحها معه في جميع مراحله ومحطاته.أغرمت «نهلا» ب«هاني» لكن مع اندلاع حرب تموز وكونه مسيحي وهي مسلمة تعذر الزواج؛ فأرغمت على الزواج من "سليم" وأنجبت منه أحمد وفاتن، وتزوج «هاني» أيضا بعد أن غادر بيروت لفرنسا؛ عشرون سنة لم تكن كافية لتنطفئ نار غرامهما تقول "نهلا" في الرواية :، " **سأروي لك هذا الحب كله ف»هاني» هو دنياي وغرامي واليوم الذي لا أراه في منامي أمرض وقبل أن تبدأ بالحكاية أضافت أن أشياء كثيرة سيقرأها «هاني» فثمة كلام كثير لم أقله له بعد**"[5]؛ ؛ تصاب «نهلا» بالزهايمر"**فقدت «نهلا» واختفت قبل أيام من حرب تموز بعدما التهم الزهايمر ذاكرتها وأدركت حينها أنها حكت لي حكايتها ليقينها أن ذاكرتها ستختفي"**[6] وتفقد ذاكرتها؛"**أشعر بأن الواحد منا يدخل هذه الدنيا بذاكرة بيضاء ويخرج منها كذلك مثلما يدخلها على الأكف ويخرج محمولا عليها أيضا يدع ذاكرته في الدنيا ويرحل بدونها ومحظوظ إذا ما أودعها بين يدي كاتب ليحفظها حتى لا تنزوي وتضمحل وتلقى مصير جسده وعظامه**"[7].

يحمل العنوان" اسمه الغرام" مجموعة من الدلالات المعبرة عن الحب الذي تعيشه المرأة مع الرجل(«نهلا»/»هاني»)؛هذا الغرام هو بمثابة سبيل لدخول عوالم المرأة السيكولوجية والبيولوجية والاجتماعية؛والغرام هو التعلق بالشيء تعلقا لا يستطاع التخلص منه؛وهو عند ابن منظور"والغرام اللازم من العذاب والشر الدائم والبلاء والحب

والعشق وما لا يستطاع أن يتفصى منه؛ وقال الزجاج هو أشد العذاب في اللغة؛قال تعالى " إن عذابها كان غراما"؛ والغرام : الولوع بالشيء؛ وقد أغرم بالشيء أي قد ولع به"[8].وإذا كان الغرام هو التعلق بالشيء وعدم القدرة على التخلص منه فذاك ما كان يجمع «نهلا» و« هاني» وأسمته «علوية صبح»"الغرام".

2.2 صورة الغلاف :تفاحة الخطيئة أم تفاحة الغفران.

يتشكل الغلاف الأمامي لرواية ""اسمه الغرام" من صورة رمزية تضم تفاحة حمراء؛ كبيرة الحجم ؛تقوم امرأة بدفعها محاولة التخلص منها لكنها لا تستطيع كون التفاحة تفوق المرأة حجما؛وإذا أردنا التوقف عند التفاحة فإنها تحمل مجموعة من الدلالات وارتبطت بمجموعة من الحضارات؛ ففي الأساطير الإغريقية يحكى أن هيرا وأثينا وأفروديت قد دعين إلى عرس ثيتس، في حين لم يتم دعوة إيريس والتي تمثل إلهة النزاع فقررت الانتقام لهذا الفعل بخلق نزاع بينهن، وقامت بوضع تفاحة ذهبية كتب عليها للأجمل؛ وبغية الخروج من هذا المأزق وحل النزاع ، قرر زيوس العودة إلى تحكيم باريس بن ملك طروادة والذي يعتبر أجمل البشر من الرجال؛ فقمن بإغوائه كل واحدة منهن بطريقتها؛ وعدته هيرا بأن تمنحه السلطة وأغرته بها؛أما أثينا فأغرته بالحكمة؛ في حين أفروديت أغرته أنها ستهبه أجمل نساء الأرض؛فكان إغراء أفروديت هو الأقرب لإقناع باريس فأعطاها التفاحة والتزمت بوعدها؛

أغوى زوجة ملكة منيلاوس هيلين وهربا إلى طروادة فقامت الحرب وانقسمت الآلهة بين مساعد لليونانيين وبين معين للطرواديين.

في الديانة المسيحية نجد أن حواء هي التي أغوت آدم بأكل الثمرة من الشجرة وهذه الثمرة هي التفاحة؛ فتحملت حواء العقاب لوحدها لأنها هي من أغرت آدم الذي كان ضحيتها فقط؛ وهذا العقاب تمثل في الحيض الذي تعيشه المرأة في كل شهر وألم المخاض أثناء الولادة؛ في حين أنه في القرآن الكريم نجد أن الشيطان هو الذي أغوى آدم وكان عقاب الله له إنزاله للأرض رفقة حواء.

وبعودتنا لصورة الغلاف التي تجذب المتلقي مع أول نظرة؛وذلك لحجم التفاحة الذي يفوق حجم المرأة؛فهي بمثابة الخطيئة التي تحاول المرأة التخلص منها لكنها لا تسطتيع وكأنها لعنة تلاحقها؛ لعنة قدست الرجل في حين دنست المرأة؛ والتفاحة من الممكن أن تدل على على القول الذي لا يمكن أن تمارسه المرأة دون رقابة مجتمعية ورقابة تاريخية؛تعلو التفاحة وريقة كتب عليها" رواية" وكأن الخطيئة التي ستمارسها "علوية صبح" تكمن تحت لواء هذه الرواية؛ خطيئة ستقود القارئ إلى المشاركة فيها دون أن يحس بأنها شيء محرم؛ هذه الرواية بمثابة تفاحة الخطيئة التي تحملت عبئها حواء لكن اسمه الغرام خطيئة لذيذة سيقترفها كل قارئ؛في الصورة نجد امرأة ترتدي فستانا وتدفع التفاحة وهي تعلم بأنها لن تستطيع التخلص منها لكنها تحاول وإن كلفها الأمر زحزحتها ولو قليلا من مكانها؛ فستانها بألوان باردة من الأبيض والأخضر، بذراعين قصيرين وطوله يصل إلى حدود الركبيتين وهذا النوع من الفساتين يلبس في فصل الصيف أو الربيع، وظلها ينعكس على الأرض كما ترتدي كعبا عاليا وشعرها أسود؛ يحيط بها البياض أو نور أشعة الشمس؛ هذا النور الذي سينعكس على حياتها إذا استطاعت التخلص من التفاحة التي نراها في وضع ثبات واستقرار ؛يعلو هذه الصورة عنوان الرواية وفوقه مباشرة اسم الكاتبة " علوية صبح" ؛وإذا أردنا أن نعتمد تسلسلا عموديا لقراءة الغلاف ككل فسنقول « علوية صبح»كتبت رواية " اسمه الغرام" لتتخلص من الخطيئة (التفاحة) التي تلاحق المرأة؛ أما إذا قمنا بربط صورة الغلاف بأحداث الرواية ،فالمرأة التي تكابد من أجل زحزحة التفاحة هي «نهلا» والتفاحة تدل على «هاني» الذي لم يستطع التخلص من حبه إلى أن هزمها الزمن وأصيبت بالزهايمر.

3. تنظيم الحدث/المتن الحكائي.

«نهلا» "امرأة محبة للحياة في الخمسينيات من عمرها؛ عاشقة لأنوثتها تعتني بجسدها بحب؛ وتعيش كل مرحلة من مراحل هذا الجسد برغبة وتقبل وتصالح مع الذات؛ منذ أن كانت طفلة، و هي تملك رغبة جامحة في أن تكبر وتنضج ؛وفي كل مرحلة تتوغل في جسدها وأنوثتها أكثر؛ تختفي «نهلا» قبيل حرب تموز بسبب مرض (الزهايمر)؛"***لست أدري لماذا أنسى كثيرا ولم تعد ذاكرتي تفور بالحياة كما جسدي أنا الآن في هذا العمر أشعر بأن الواحد منا يدخل هذه الدنيا بذاكرة بيضاء ويخرج منها كذلك مثلما يدخلها على الأكف ويخرج محمولا عليها أيضا يدع ذاكرته في الدنيا ويرحل بدونها ومحظوظ إذا ما أودعها بين يدي كاتب ليحفظها حتى لا تنزوي وتضمحل وتلقى مصير جسده وعظامه"***[9] .

طلبت «نهلا» من الكاتبة"علوية صبح" كتابة قصة حبها الأبدي ل»هاني» وعن المفاجآت التي يحملها الزمن للإنسان مع التقدم في العمر، فالزمن بالنسبة إلى «نهلا» يحمل رائحة كالمكان تماما؛ «نهلا» شاعرة لكن أخفت قصائدها في حديقة منزل أهلها إلى جانب مذكرات الطفولة؛ وحلمها هو أن يروي شخص آخر حياتها لتكتشف حياتها من جديد وتقرأها من بعيد، ولا شيء يقاوم الشيخوخة ويقف في وجه سطوة الزمن سوى الحب على حد قول «نهلا».

يقرر «هاني» السفر إلى باريس من أجل إجراء مجموعة من الفحوصات الطبية ويعرض على «نهلا» الذهاب وتوافق وإن كلفها الأمر الطلاق من زوجها "سليم" ؛وبدأت تحضر لهذا اللقاء بكل شوق وعشق بدءا من (الأندرويز- قميص النوم) رغبة منها في الإحساس بالامتلاء الذي فقدته. "سعاد" صديقة «نهلا» المقربة قرب البطين الأيمن من البطين الأيسر من القلب؛ تحكي لها كل شيء وتعرف سعاد عن «نهلا» كل التفاصيل و هي الأقرب إليها من عزيزة ونادين وهدى ***"كأنها كانت لها أربعة آذان تسمعني فيها بحب***"[10]؛ علاقتها ب»نهلا» هي الهامش الوحيد لحريتها؛ طيبة القلب والطفلة الوحيدة وسط تسعة إخوة ذكور؛ فائقة الذكاء وشديدة الانضباط، لم تشتك سعاد من أهلها أو إخوتها أو من جسدها وحين التحاقها بالجامعة درست الفلسفة في حين «نهلا» كانت طالبة أدب عربي .

"عزيزة" مقربة أيضا من «نهلا» عاشقة جميل بثينة وتدافع عن الشعراء العذريين وتلقبهم بأولياء الله ؛قبل أن تنقلب على عقبيها وتستسلم لغرائزها؛'***اسكتي يا «نهلا» شو***

بدك بالحكي المرا يا اللي ما عندا جسم بتعترف فيه وبتحبه وبتدلله لشو حياتها بتكون عايشة ميتة" [11]."***تحيرني علاقة البنات بأجسادهن أرى كيف يتعاملن معها مرة كأنها أكفان ومرة كأنها أشياء لا تخصهن تفرض عليهن فرضا منذ الولادة"*** [12]؛ أما "نادين" فهي فتاة انطوائية وخجولة انتحرت أختها "ربيعة" التي كانت تمثل لها السند والمأوى بعد أن حاول خطيبها اغتصابها التزاما بأمر والده الذي أكد عليه بأن اغتصابها سيدخلها بيت الزوجية منكسرة الظهر والكبرياء؛ باءت محاولته بالفشل فجاء الأب ليقوم بالمهمة"***زيح من عندك رح فرشيك شو بيعملو الرجال إذا ما قدرت أنا بقدرقال ثم اقتحم الغرفة كالثور الهائج***"[13] لكن ربيعة صدته وأخبرت أمها آملة أن ترفض تزويجها منه ؛ ومع ذلك تم زفها له فقررت الانتحار بدلا من أن تتزوج ؛ تغيرت" نادين" إلى النقيض المعاكس و انخرطت في النضال مع اليساريين وشاركت في المعارك النضالية ومارست الجنس مع رفاق النضال الذين أقتعوها أن الجنس هو السبيل لتحرر المرأة، ثم تزوجت وتطلقت لتحب "ميرنا"؛ وقد بدأت بوادر الميل لجنس الأنثى يوم داعبتها المدرسة في طفولتها"***أما المصيبة الكبرى فيوم تغيب "الست لبنى" وجه نادين يصير مثل زهرة ذابلة يشحب لونها وتعتزل الناس الحالة ذاتها تصيبها أيام العطل المدرسية وشجنها الأعظم يظهر واضحا في خلال الأسبوع الأخير من العام الدراسي"***[14].

أب «نهلا» هو من اختار لها هذا الاسم" ***أنا اخترت ل«نهلا» اسم حلو والحلو بدو الحلو***"[15] في حين كانت أمها امرأة متزمتة ومتشددة في الدين ؛ وصعبة الطباع عكس الأب السموح المحب للحياة ؛وكانت «نهلا» تحس بالأمان في حضوره لتقول وتفعل ما تشاء وفي غيابه تعود السلطة والجبروت للأم ؛ولم يكن الأب يرفض طلبا للأم ميالا للسلم مبتعدا عن الشجارات التي قد تخرجه معها خاسرا؛ لكن فيما يخص الشعر الإباحي يصبح متنمرا ولا يقبل تشدد الأم؛تزوج قبل أم «نهلا» بخديجة وظل معها لسنين وبعد تعذر الإنجاب طلقها لتستطيع الإنجاب، ووهب لها بقعة أرضية لتكون حافزا لعريس يتقدم لخطبتها؛ وظلا يزوران بعضهما، وأم «نهلا» لم تكن تنزعج من الأمر لأنها هي الأخرى كانت متزوجة من ابن عمها قبل أن يطلقها أبوها منه بسبب عجزه الجنسي.لكن حبها الأول والأخير كان للشيخ الزائر"***بعده لم أحب أحدا حتى أب أولادي***"[16].

جواد أخو «نهلا» الشاب المدلل من طرف أفراد العائلة ؛ تأثر بأفكار عمته" رقية" عن النساء وأنهن جنس وضيع، فكان شديد العدوانية مع «نهلا» وكثير العلاقات العابرة مع الفتيات؛ اشتغل كأستاذ جامعي وتزوج بسميحة التي كان دائم الخيانة لها لكن مع ذلك هي لا تهتم لأنه في النهاية يعود إلى حضنها.

ضبطت العمة رقية يوما «نهلا» وهي تقرأ بعض قصائدها على "سعاد" فأخبرت "جواد" الذي ضربها بلكمات قاسية ومؤلمة؛وقررت أمها إخراجها من المدرسة رفقة الشيخ لكن الأب ساند «نهلا» ورفض إخراجها من المدرسة"***يعني إنت وبنتك رايحين عا جهنم ركض***"[17] عشقت «نهلا» الروايات وقصص ألف ليلة وليلة وأصبح الكتاب بالنسبة إليها شيئا ضروريا لا يمكن الاستغناء عنه؛أحبت «نهلا» حسان (ابن الجيران) وهي في سن الثالثة عشرة سنة، وظل إحساسها ممزوجا بالنشوة والذنب؛وظلت تكتب أشعار الحب والغرام إلى أن عثر عليها جواد فحرق أصابعها"***تنعطب أشرف تكتب حكي الفحش هللي كتبته بنتك يا ست فلتانة على الآخر؛ اسمعي شو بتقول ؛" شفافها مشتاقة لشفافه" والمخفي أعظم؛ تهاويت على الطراحة أمامهما وألم فظيع يمزق يدي وذراعي ويشل قدرتي على الحركة وسط صوت أمي المذبوح يعلو بسياط كلام أقسى من الصخر؛قبل أن تستغرق في نوبة بكاء مرتندب نفسها وحظها الملعون"***[18].تعرفت «نهلا» على «هاني» في عيد ميلاد عزيزة كونه صديق أخيها الحميم وذلك قبل نهاية العام الدراسي في السنة الأخيرة للمرحلة الثانوية"***في لقائي الأول به سألته :- منين إنت يا «هاني»***

-من الجبل

- و إنت

- من الجنوب من عيلة مسلمة كثير متدينة و إنت؟

- أنا من عيلة مسيحية فيها متشددين متعصبين بس فيها يسارية كمان" [19]. تطورت العلاقة بين «هاني» و«نهلا» إلى حب جنوني لا يمكن تجاوزه"***كان حلمي أن نتزوج مثلما فعل الكثير من الشبان والشابات المسلمين والمسيحيين قبل الحرب وأحقق رغباتي مثلهم إلا أن الحرب أتت و أفسدت كل شيء"*** [20] فحالت الحرب الأهلية وجواد دون اكتمال الحلم والزواج من «هاني»؛"***لم يرد «هاني» أن أهرب معه ولا أن يفض بكارتي برغم كل إغراءاتي له حين التقينا في بيت صديق له في الأشرفية بعدما قطعت إلى هناك تحت الخطر ذات***

يوم كي لا يؤذيني كما قال لي؛ وأنها حديثه لي يومها بالقول: شو بكي يا «نهلا» خيك مجنون وعيلتك بتاخذ بالتار وبهالأيام الخرا الواحد عم يموت والإنسان رخيص مثل الشفكة يمكن يقتلوك ويقتلوني"[21]؛ وتزوجت بسليم زواجا تقليديا والذي يكبرها آنذاك بعشرين سنة، ولم يفارقها الإحساس بالذنب وأنها لم تدافع عن حبها ل»هاني» ؛"***كل شيء تم بسرعة والغصة في قلبي كانت كبيرة عندما فرشت السرير وغطيته (بالكوفرلي) وزينته قبل ليلة الدخلة ارتجف قلبي؛ كان حلمي مخدة تجمعني ب»هاني» وأن أنام بجانبه في السرير أكثر مما كان هي الجنس معه؛في ليلة زفافي الأولى عمدما فض زوجي بكارتي أشفقت عليه أحسست بأني لم أسلمه جسدي كنت منفصلة عن جسمي تماما"*** [22]؛بعد أن علم «هاني» بزواج «نهلا» قرر السفر لباريس هربا من الحرب التي أفسدت كل شيء، ومن «نهلا» التي لن تكون له ولا بأي حال من الأحوال"***حكى لصديقه كم كان مقهورا ليلة زفافي تكلم مع نفسه على الأرصفة لأيام وحين كان يعود للبيت كان يغلق باب غرفته عليه ولم يرد أن يسأله أحد ما به***"[23] .أنجبت «نهلا» من سليم طفلين وتعرفت على رجال كثر لتكسر شوكة الملل التي تجتاح حياتها؛ تتجدد علاقتها ب»هاني» الذي تزوج هو الآخر وأنجب خمسة أطفال ويبعث لها رسالة مع سعاد؛" ***حبيبتي «نهلا» لقد انتهيت للتو من قراءة الرواية (الحب في زمن الكوليرا) ووجدت نفسي مدفوعا لكتابة هذه الرسالة إليك بدون تفكير مني فالرواية أعادت الأمل إلي لنبحر معا في باخرة الحب التي أنتظر وصولها؛ اردتك أمس وأريدك***

الآن ودائما أنت طوق نجاتي ويداك شبكة أمان حياتي أنا لم أرتو منك ولن أرتوي أبدا؛ أنت مائي وعطشي أنت شبعي وجوعي الدائم"[24] كانت هذه الرسالة سبيلا استعادة العلاقة وتجديد نفسها؛ "***أحلى شي الحب على كبر ما هيك «نهلا» وما شي بيبعد الشيخوخة إلا الحب؛ ليكي إنت عم تضوي وزدت حلا بعد ما نمت معك.***

- إيه كل صاحباتي عم يقولوا لي ليكي العشق شو محليكي وشو عامل فيك رجعت كأنك بنت العشرين.كنت أحسب أن ثمة نهاية لكل شيء إلا لي ول»هاني» ولحبي"[25]؛ اتجهت «نهلا» للمطار للسفر لباريس وقد وضعت كل شيء خلف ظهرها "***كل ما في البيت كأنه انفصل عني بدا ليس لي أو لم يعد ملكي صار غريبا"*** [26] وتم اللقاء في الفندق وعادت من باريس وقطعت تواصلها ب"علوية"؛لتختفي بعدها تماما بعد أن فقدت ذاكرتها بسبب

الزهايمر؛ وفقدت سعاد و« هاني» الأمل في العثور عليها؛ تموت سعاد على فراش «نهلا» بعد أن دعتها فاتن لتبيت معها؛وتنتهي الرواية بسؤال المصير الذي يتعب ذاكرة علوية ***"سؤال المصير ظل يلاحقني ويجعلني أتخيل أشياء برغم يقيني بأني رأيتها فعلا"***[27].

1.3 ذاكرة الجسد الأنثوي في رو اية "اسمه الغرام" لعلوية صبح.

تأخذ رواية "اسمه الغرام" لعلوية صبح، من الجسد إيحاءاته الرمزية وأبعاده اللغوية والحركية، وتكتشف الشخصيات المحيط والعالم والآخرين عبر جسدها الذي يمثل كتلة فنية داخل البناء الروائي ،والمرأة حين تكتب تجعل من الكتابة وسيلة لتحقيق ذاتها ورغبة في الحصول على الاكتفاء والامتنان الذاتي،ثم التحليق داخل الساحة الأدبية بأجنحة من شغف،**"فهي لا تكتب من أجل السيطرة على الرجل كما يفعل هو بواسطة القانون والآداب فهي ترمي من الكتابة والكلام كل شروخ جسدها وتموجاته"**[28]، المرأة تبدع من خلال جسدها المقهور داخل بنية مجتمعية تنظر إليه بعين إيديولوجية نمطية، فكتابة المرأة تفجير لما تحسه وتعيشه وامتداد وجودي للذات المبدعة التي تكتب بالجسد وتجعل منه رمزا ذا أبعاد إيحائية،و« علوية صبح»احتفت بالجسد الأنثوي في روايتها وجعلت لذة النص المكتوب بيد المتلقي الذي اكتشف عوالم هذا الاحتفاء بالجسد الأنثوي،لأن الجسد **"يولد معطى انفعاليا وغريزيا وثقافيا عاما ولكن هذا المعطى لا يدرك إلا من خلال الأجزاء ولا يستقيم وجود هذه الأجزاء إلا من خلال اندراجها ضمن هذا الكل الذي هو الجسد"**[29]الجسد إذن بنية ثقافية وانفعالية وغريزية جعلت منه « علوية صبح»مرتعا خصبا لروايتها.

يحظى الجسد بمكانة هامة في الكتابات الإبداعية العربية، واستطاع إلى حد ما التخلص من شرنقة الرقابة التي مورست عليه لسنوات طوال؛خاصة جسدا المرأة، وهذا ما نجده في رواية **"اسمه الغرام"** حيث اقتحمت الكاتبة عالم النساء وغاصت في أعماق الثقافة العربية باحثة عن أجوبة لأسئلة معلقة،تصور الروائية علاقة الفتيات بأجسادهن التي يشوبها الخوف والقرف والضجروالحيرة، **"تحيرني علاقة البنات بأجسادهن أرى كيف يتعاملن معها مرة كأنها أكفان ومرات كأنها أشياء لا تخصهن، تفرض عليهن فرضا منذ الولادة يخفن منها في الأيام العادية ويكرهنها وينفرن منها أثناء العادة الشهرية. تصفها عمتي رقية بعادة الشؤم والبلاوي والمصائب وتنعتها أمي بالنجسة. عزيزة استمرت تكتم**

أمرها عن أمها وعنا كأنها ارتكبت فعلا حراما واستقبلتها سعاد في المرات الأولى بنوبات حادة من البكاء.لكن ما أصاب نادين بسببها فاق كل تصور،تسللت إلى بيتنا ذات صباح باكر هزتني بعنف فردعتها وذكرتها بأن

اليوم عطلة؛ثم انتبهت إلى أنها ترتدي قميص نومها وعيناها مثل جمرتين مشتعلتين لم يكن فيهما دمع بل لهب يشبه اللهب المتصاعد من فوهة البركان في كتاب الجغر افيا.سألتني عن سم الأفاعي الذي تستخدمه أمي وترشه في مواسم الحر على أطراف الجل أسفل بيتنا؛فسخرت منها واستفسرت هل تريده لتتحلى به قبل الفطورأم بعده؛عندها انفجر بركان نادين بالبكاء؛قالت إنها أدركت حيضها وتريد أن تموت وتتخلص من حياتها لأنها تخاف أن تصبح مثل أمها. أخاف الحيض نادين حتى تمنت الموت؛ بينما جعلني أشكر السماء لأنها استجابت لي و أنعمت علي بما انتظرت واستعجلت حصوله واعتبرته شرطا لازما لأحكي عن الحب والغرام مع البنات اللو اتي يكبرنني؛ولأصبح عروسا بحسب ما كنت أسمع من النساء المنشغلات بتدبير الزيجات ومن بنات الصفوف العليا في المدرسة"[30].

الجسد في رواية "اسمه الغرام" علامة تتكلم وتتحرك وتتفاعل فيأخذ بذلك صورتين : صورة الجسد المعشوق والجسد المنبوذ، جسد يشتهي اقتحام عالم الكبار بعد الحصول على تأشيرة العبور وهي الحيض ،وجسد تم تنميطه بأفكار سائدة تجعله في حالة استلاب ونفور وكراهية، "«نهلا»" وهي طفلة تنتظر لحظة البلوغ بكل شوق وتعتبر الأمر جوازا لبلوغ عالم الفتيات الكباروخوض تجارب الغرام، أما "سعاد" و"نادين" فقد استقبلتا هذا البلوغ بنوبة حادة من البكاء إلى درجة أن "نادين" رغبت في الانتحار عوض أن تصبح كأمها .الحيض في عرف الأمهات مصيبة وويل ونجاسة وكأنها عقاب تعاقب به المرأة كل شهر وليس خاصية أنثوية يكمن من خلالها الاختلاف بينها وبين الرجل، يصور لنا هذا المقطع جزءا من الذهنية العربية في تعاملها مع الجسد الأنثوي، وهو مقطع يغيب فيه صوت الرجل ويحضر صوت النساء الباحثات عن الإحساس بالأمان إما نفورا من هذا الجسد أو محاولة في خلق حالة من التماهي مع تفاصيله.

يظهر الجسد في الرواية منفتحا ومنفلتا ومنغلقا على نفسه حمالا للرغبات والشهوات، كما يرمز للفكر والهوية العربية ونظرتها للجسد، وعليه فإن السرد تمركز حول الأنوثة

المحتفى بها من خلال جعل الجسد الأنثوي جسدا إبداعيا يغني العمل الروائي والمركز الذي يجتذب خيوط السرد؛ ورواية **"اسمه الغرام"** تعرض لنا نماذج مختلفة من التعامل مع هذا الجسد فمنه الجسد المتصالح مع نفسه ومنه الجسد الكاره لذاتيته فيتفاقم الالتباس وتتعدد القراءات**"امبارح أخذت حبة منوم لمن فقت الصبح لقيت حالي مربطة وسألت جوزي إذا عمل شي قال لي: لإييه فقت وش الضو لقيت حالي مهيج فنمت معك من ورا.قلت له معقول هيك؟قال لي اشكري ربك عملت لك واحد لا ما شو فوجك وإلا ما قدرت ليش إنت بيتعمل لك واحد"**[31].يتفاقم الغموض الفني في العلاقة بين كل شخصية وجسدها في الرواية وهذا الالتباس يكسر درجة الثبات في السياق السردي فتعدد زوايا النظر؛ ففي علاقة سعاد بزوجها يغيب عنصر التوازن ذلك أنه يتمتع بجسد سليم في حين هي جسدها مشوه بسبب مرض جلدي؛ الشيء الذي جعل العلاقة الجسدية تنهار لتنهار بذلك العلاقة العاطفية بينهما، كما أن الشخصيات في الرواية لا تهرب من أجسادها بل تواجهها في معادلة سردية متميزة.

الأنثى حين تلج عالم النص فهي تمارس الانشطار والتشظي الذي تعيشه بينها وبين العالم ذلك باعتباره**"بؤرة لتجلي العملي والغريزي والوظيفي والأسطوري والثقافي ؛يعيش بشكل دائم تحت التهديدات المستمرة للاستعمالات الإيحائية الاستعارية ومن خلال هذه الاستعمالات لا نقرأ الحركة ولا نقرأ الإيماءة؛ولا نقرأ تر ابط هذه الحركات والإيماءات ولكننا نقرأ فقط النصوص التي تولدها هذه الحركات"**[32]،فالمرأة المبدعة حين تبدع وتكتب نصها الروائي تكون عبارة عن فعل وفاعل في الوقت نفسه.

الجسد الذكوري يأخذ حصته أيضا في رواية **"اسمه الغرام"** لكنه جسد هزمه التقدم في السن والمرض والأدوية فغدا يعتمد الفياغرا وذلك لتقوية قدراته الجنسية ،والظهور برداء الرجل الفحل أمام المرأة،؛لأنه المفتخر دائما بفحولته وقدرته القوية على الممارسة و أن يظهر بمظهر العاجز أمام المرأة فذلك بمثابة رصاصة تضرب في قلب رجولته، ولقد أبدعت "علوية صبح" في كشف العقد النفسية والجنسية للرجل العربي،تقول :**"لم تعد سميحة تبالي لأخي وهو الذي لا يقرب منها منذ أصيب بالعجز الجنسي بسبب أمراضه ولا تقيم له وزنا ولا سيما بعدما وجدت الحبوب الزرقاء في جيب بنطاله؛ ما حرصت عليه هو طقوس عاداته؛تعد له قهوته الصباحية وتضع تفاحة واحدة على الصينية ليأكلها قبل**

شرب القهوة وبعد أن ينتهي من دوشه الصباحي.كان أخي جواد قد أخذ حبة الفياغرا وهو في طريقه بسيارته لمواعدة امرأة تعرف إليها؛ لكنها اتصلت بهاتفه النقال وألغت الموعد.عاد إلى البيت ونام مع سميحة بعدما قال لها إنه مشتاق لها كما لم يشتق من قبل؛ أدركت بينها وبين نفسها أن شيئا ما حصل؛هي تدرك جسمه وحجم قدرته.وهو لا يأخذ الحبة الزرقاء من أجلها لأنه سيجد نفسه مفضوحا أمامها وغير قادر على التباهي بفحولته.الحبة عندها لن ترضي صورته أمام نفسه كما أمام النساء الغريبات الجاهلات قدرته"[33]، يوحي الملفوظ السردي في الرواية بمتاهات الجسد الباحث عن الغواية واللذة والمائل نحو نزعته الغريزية وتحقيق رغباته،و الجسد الذكوري لا يقبل النزول من عرش الفحولة فيعوض هذا النقص بالحبوب الزرقاء،شرط أن يتم هذا التناول مع الغريبات لا مع الزوجة التي يكشف الرجل أمامها عن نقصه وعجزه.

الجسد في رواية **"اسمه الغرام"** يمثل البؤرة التي تلتقي فيها كل الأحداث وملاذا لخطابها السردي تستقطب من خلاله كل الأحداث والخيوط؛ فالمعجم المرتبط بالجسد كان هو المهيمن في العمل الروائي ويشحن السرد ويجعل إيقاع الرواية متناغما بين هزائم المرأة وهزائم الرجل التي مثلها "«هاني»" حين خارت قواه الجسدية مع "«نهلا»"،**"الآن أشعر شعور رجل تقليدي خسر معركته في امتحان الفحولة ففقد إحساسه برجولته وخسر اعتباره لنفسه.أحس بأن حجمي ضامر وضئيل بحجم عضوي الضامر؛ يالله غلبتني الأوهام فظننت أني شفيت من جسد الفحل وعقله... لن تصدقني «نهلا» أبدا بعد اليوم.»نهلا» التي تعرفني وتقر أني لن أعود بالنسبة إليها فارس فراشها فقط لأنني مالك قلبها.يالله خسرت القلب وخسرت الفراش خسرت «نهلا» و انتهى الأمر"**[34].

رواية **"اسمه الغرام"** تحسن الإنصات إلى الجسد وإلى تأوهاته ف"«هاني»" بعد أن خانه جسده و انكسرعود رجولته وفحولته أمام "«نهلا»"؛أحس بالنقص والفقد والخسارة،بعد أن كان غير مؤمن بمنطق الفحولة المرتبطة عنده بالبهائم ،غدا مؤمنا بها ومعتبرا إياها أمرا ملحا وضروريا في علاقته ب»نهلا«**"شيء فيه جعلني أخاف عليه وجهه الذي عبدته بدا لي مغلوبا هذه هي المفردة بالضبط. جعلتني أقرب وجهي منه؛ أحك أنفي بأنفه؛ ألصق خدي بخده؛ وأمرر شفتي فوق جبينه وبين عينيه وأهمس له :أعد إلي وجهك يا «هاني»؛أعد إلي**

عينيك؛فأنا أخاف إن عانقتهما ألا أرى فيهما السماء والشمس والبحر والقمر والنجوم والضوء ومروج الدنيا كلها.عيناك هما الدنيا؛فلا تدع الدنيا تهجرني"[35].

لم تصور "علوية صبح" علاقة المرأة بالرجل فقط؛بل تجاوزت الأمر وتحدثت عن الجسد الأنثوي في انجذابه لجسد مماثل وذلك من خلال المثلية الجنسية، وقد تناولت "علوية صبح" هذه الظاهرة بكل جرأة مانحة إياها حيزا سرديا في روايتها؛ظاهرة تطفو على سطح مجتمعاتنا العربية لكن لا نقوى على تناولها وقد برزت في الرواية من خلال سحر ونادين وميرنا وعلاقة الحب التي جمعت بين أجساد متماثلة.

4. خاتمة

يمثل الجسد بلاغة فنية مكثفة داخل المعمار الروائي في **"اسمه الغرام"** وتيمة دلالية تم توظيفه كمادة حكائية لجميع المشاهد السردية؛**"النص السردي هو بناء لغوي يتمظهر داخل سلسلة تركيبية ودلالية متعددة المسارات والمستويات فإنه يتيح للمرأة أن تكتب نصها الأنثوي في جسده وفي دلالته؛كما نلمس سيطرة البعد العاطفي الخيالي فيه؛وانجذابها إلى الآخر المذكر الذي لا يمكن أن تعيش بدونه فالمرأة الراسخة كائن اندماجي وليس مستقلا"**[36].

جغرافية الجسد هي جغرافية الرواية والغور في مباطن الجسد الأنثوي، هو غور في الفضاء النصي وتمثل لسيماته الأدبية والفنية والنفسية لأن الجسد أيقونة ورمز وبؤرة الأحداث؛»نهلا» الوفية والمحبة لجسدها والذي قابلها بالخيانة حين فقدت ذاكرتها وجسد «هاني» الذي أنهك بفعل الأدوية فغدا عاجزا أمام جسد «نهلا» ؛ وبالتالي فإن المغامرة السردية في الرواية هي مغامرة للجسد والروح والذاكرة"**كانت تحكي لي كيف تغير جسدها وتسألني إن كنت أشعر مثلها؛ تقول إنه صار أنضج وأعقل أو ربما تخلت بعض الشيء عن جموحه وجنونه"**[37]؛مغامرة تتحفها المخاطر من كل جانب ولا أمان فيها، غير أن سطوة الزمن تفوق القدرات البشرية والسردية أحيانا؛الشيء الذي جعل الجسد يأخذ حيزا سرديا مهما داخل المعمار الروائي فشبهناه بالبؤرة التي تتقاطع فيها كل الأحداث؛ ولا شك أن الكتابات النسائية/الأنثوية ركزت على الجسد كسمة فنية وذلك بدءا من الاختلافات البيولوجية والتاريخية والثقافية بين جسد الرجل وجسد المرأة؛ يظهر الجسد الذكوري

جسدا فحلا أحيانا وعاجزا أحيانا أخرى، هذا العجز الذي يولد عقدا نفسية مرتبطة بالهيمنة الذكورية وأن الرجل يعادل الفحولة؛ يعادل القدرة على إشباع

غرائزه قبل تحقيق الإشباع للمرأة؛وإذا ما انهار هذا الجسد وأصيب بالعجز كما وقع ل"«هاني»" فإن هذا يجعل الحب مقبلا على مشارف النهاية؛أما «نهلا» فخيانة جسدها كانت من نوع آخر وهي خيانة الذاكرة وفقدانها القدرة على تذكر تاريخها رفقة جسدها أما سعاد فهي الحاملة لجسد وهوية أنثوية مشوهتين ذلك أن الرجل لم يقبل بتشوهها الجسدي الشيء الذي خلف تشوهات روحية مرتبطة بهويتها كأنثى.

رواية **"اسمه الغرام"** رواية أنثوية احتفت بالجسد الأنثوي فجعلت منه أرضا خصبة للحكي فكان هو المنطلق والمنتهى؛وحاولت الكاتبة النفاذ إلى عمق الذاكرة لمراوغتها بحثا عن سبيل للإجابة عن سؤال الجسد في الثقافة العربية.

الهوامش :

[*]- أمبرتو إيكو، حاشية على اسم الوردة،دار التنوير للنشر ترجمة سعيد بنكراد 1983ص 15

[2]- بسام قطوس سيمياء العنوان؛ وزارة الثقافة؛ عمان/الأردن ط 1 ؛2001 ص 12

[3]- - Leo H. Hock. La marque du titre. Dispositifs sémiotiques d'une pratique textuelle. Motion pubblishres the hague paris.N york. 1981page 115

[4]- علوية صبح، اسمه الغرام، دار الآداب للنشر والتوزيع بيروت، 2009م، ص 5

[5]- علوية صبح، اسمه الغرام ،دار الآداب للنشر والتوزيع بيروت ،2009م ص 17

[6]- نفسه ص 279

[7]- نفسه ص 14

[8]- ابن منظور الإفريقي، لسان العرب ط 1 دار صادر بيروت، 1994م.ص 255.

[9]- علوية صبح، اسمه الغرام ،دار الآداب للنشر والتوزيع بيروت ،2009م،ص 14

[10]- علوية صبح، اسمه الغرام، دار الآداب للنشر والتوزيع بيروت،2009م، ص 37

[11]- نفسه ص 86

[12]- نفسه ص 88

[13]- نفسه ص 96

[14]- علوية صبح، اسمه الغرام، دار الآداب للنشر والتوزيع بيروت،2009م ص 101

[15]- نفسه ص 57

[16]- نفسه ص 61

[17]- نفسه ص 71

[18]- نفسه ص 76

[19]- نفسه ص 112

[20]- نفسه ص 117

[21]- علوية صبح، اسمه الغرام،دار الآداب للنشروالتوزيع بيروت ،2009م ص 121

[22]- نفسه ص 123

[23]- نفسه ص 127

[24]- نفسه ص 162

[25]- علوية صبح، اسمه الغرام ،دار الآداب للنشروالتوزيع بيروت ،2009م ص 166

[26]- نفسه ص 275

[27]- نفسه ص 336

[28]- محمد نور الدين أفاية؛ الهوية والاختلاف في المرأة والكتابة والهامش؛افريقيا الشرق الدار البيضاء 1988 ص19

[29]- د.سعيد بنكراد السيميائيات مفاهيمها وتطبيقاتها منشورات الزمن شرفات سلسلة 22 مطبعة النجاح الجديدة- الدار البيضاء 2003 ص 129

[30]- علوية صبح، اسمه الغرام ،دار الآداب للنشروالتوزيع بيروت ،2009م،، ص 89/88

[31]- علوية صبح، اسمه الغرام، دار الآداب للنشروالتوزيع بيروت ،2009م، ص 281

[32]- سعيد بنكراد؛السيميائيات مفاهيمها وتطبيقاتها الجديدة؛الدار البيضاء/ط2003 ص 129

[33]- علوية صبح، اسمه الغرام ،دار الآداب للنشروالتوزيع بيروت ،2009م، ص 222

[34]- نفسه ص 289

[35]- علوية صبح، اسمه الغرام ،دار الآداب للنشروالتوزيع بيروت ،2009م ص 290/289

[36]- عبد القادر الغزالي؛الصورة الشعرية وأسئلة الذات؛مؤسسة النشر والتوزيع-الدار البيضاء-ط2004/1 ص 150

[37]- علوية صبح، اسمه الغرام ،دار الآداب للنشروالتوزيع بيروت ،2009م، ص 285

❊❊❊ ❊❊❊ ❊❊❊